**الجاحظ**

**هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي**[**الكناني**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%83%D9%86%D8%A7%D9%86%D8%A9)**البصري (**[**159 هـ**](https://ar.wikipedia.org/wiki/159_%D9%87%D9%80)**-**[**255 هـ**](https://ar.wikipedia.org/wiki/255_%D9%87%D9%80) **( أديب**[**عربي**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D8%B1%D8%A8)**كان من كبار أئمة الأدب في**[**العصر العباسي**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AE%D9%84%D8%A7%D9%81%D8%A9_%D8%B9%D8%A8%D8%A7%D8%B3%D9%8A%D8%A9)**، ولد في**[**البصرة**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B5%D8%B1%D8%A9)**وتوفي فيها. مختلف في أصله فمنهم من قال بأنه**[**عربي**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D8%B1%D8%A8)**من قبيلة**[**كنانة**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%83%D9%86%D8%A7%D9%86%D8%A9)**ومنهم من قال بأن أصله يعود**[**للزنج**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B2%D9%86%D8%AC)**وأن جده كان مولى لرجل من بني**[**كنانة**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%83%D9%86%D8%A7%D9%86%D8%A9)**وكان ذلك بسبب بشرته السمراء الغامقة، اشتهر عنه قوله إنه عربي وليس زنجي إذ قال:"** أنا رجل من بني كنانة، وللخلافة قرابة، ولي فيها شفعة، وهم بعد جنس وعصبة**".**

**كان ثمة نتوء واضحٌ في حدقتيه فلقب بالحدقي ولكنَّ اللقب الذي التصق به أكثر وبه طارت شهرته في الآفاق هو الجاحظ، عمّر الجاحظ نحو تسعين عاماً وترك كتباً كثيرة يصعب حصرها، وإن كان**[**البيان والتبيين**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%8A%D8%A7%D9%86_%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A8%D9%8A%D9%8A%D9%86)[**وكتاب الحيوان**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8_%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%8A%D9%88%D8%A7%D9%86)[**والبخلاء**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%AE%D9%84%D8%A7%D8%A1)**أشهر هذه الكتب، كتب في علم الكلام والأدب والسياسية والتاريخ والأخلاق والنبات والحيوان والصناعة وغيرها.**

**قال**[**ابن خلدون**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D8%A8%D9%86_%D8%AE%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%86)**عند الكلام على علم الأدب:** وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة كتب هي: [**أدب الكاتب**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%AF%D8%A8_%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%A7%D8%AA%D8%A8) [**لابن قتيبة**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D8%A8%D9%86_%D9%82%D8%AA%D9%8A%D8%A8%D8%A9)، كتاب [**الكامل**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%A7%D9%85%D9%84) [**للمبرد**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A8%D8%B1%D8%AF)، كتاب [**البيان والتبيين**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%8A%D8%A7%D9%86_%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A8%D9%8A%D9%8A%D9%86) للجاحظ، وكتاب [**الأمالي**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%8A) [**لأبي علي القالي**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%A8%D9%88_%D8%B9%D9%84%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D9%84%D9%8A)، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع منها.

**ثقافته**

**كان للجاحظ منذ صغره ميلٌ واضحٌ ونزوعٌ عارمٌ إلى القراءة والمطالعة حَتَّى ضَجِرَتْ أُمُّهُ وتبرَّئت منه. وظلَّ هذا الميل ملازماً لـه طيلة عمره، حتَّى إنَّه فيما اشتُهِرَ عنه لم يكن يقنع أو يكتفي بقراءة الكتاب والكتابين في اليوم الواحد، بل كان يكتري دكاكين الورَّاقين ويبيت فيها للقراءة والنَّظر ويورد**[**ياقوت الحموي**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%8A%D8%A7%D9%82%D9%88%D8%AA_%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%85%D9%88%D9%8A)**قولاً لأبي هفَّان ـ وهو من معاصريه ـ يدلُّ على مدى نَهَمِ الجاحظ بالكتب، يقول فيه: "لم أر قطُّ ولا سمعت من أحبَّ الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ، فإنَّه لم يقع بيده كتاب قَطُّ إلا استوفى قراءته كائناً ما كان ولا عَجَبَ إذ ذاك في أن يُفْرِد الصَّفحات الطِّوال مرَّات عدَّة في كتبه، للحديث عن فوائد الكتب وفضائلها ومحاسنها. والحقُّ أنَّه كان أشبه بآلة مصوِّرةٍ، فليس هناك شيءٌ يقرؤه إلاَّ ويرتسم في ذهنه، ويظلُّ في ذاكرته آماداً طويلة".**

**ولكن الجاحظ لم يقصر مصادر فكره ومعارفه على الكتب، وخاصَّةً أنَّ ذلك عادةٌ مذمومةٌ فيما أخبرنا هو ذاته وأخبرنا كثيرون غيره، إذ العلم الحقُّ لا يؤخذ إلا عن معلم، فتتلمذ على أيدي كثيرٍ من المعلمين العلماء واغتنى فكره من اتصاله بهم، وهو وإن لم يتَّفق مع بعضهم أو لم يرض عن فكرهم فإنَّهُ أقرَّ بفضل الجميع ونقل عنهم وذكرهم مراراً بين طيات كتبه.**

**لقد تكوَّنَتْ لدى الجاحظ ثقافةٌ هائلةٌ ومعارفُ طائلةٌ عن طريق التحاقه بحلقات العلم المسجديَّة التي كانت تجتمع لمناقشة عددٍ كبيرٍ وواسعٍ من الأسئلة، وبمتابعة محاضرات أكثر الرِّجال علماً في تلك الأيَّام، في فقه اللغة وفقه النَّحو والشِّعر، وسرعان ما حصَّل الأستاذيَّة الحقيقيَّة في اللغة العربيَّة بوصفها ثقافةً تقليديَّة، وقد مَكنَّهُ ذكاؤُه الحادُّ من ولوج حلقات المعتزلة حيث المناقشات الأكثر بريقاً، والمهتمَّة بالمشكلات الَّتي تواجه المسلمين، وبالوعي الإسلامي في ذلك الوقت.**

**ونظراً لسعة علمه وكثرة معارفه وَصَفَهُ**[**ابن يزداد**](https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D8%A7%D8%A8%D9%86_%D9%8A%D8%B2%D8%AF%D8%A7%D8%AF&action=edit&redlink=1)**بقوله: هو نسيج وَحْدِهِ في جميع العلوم؛ علم الكلام، والأخبار، والفتيا، والعربيَّة، وتأويل القرآن، وأيَّام العرب، مع ما فيه من الفصاحة.**

**وإن كان معاصرو الجاحظ من العلماء، على موسوعيَّة ثقافتهم، أقرب إلى التَّخصص بالمعنى المعاصر، فإن تردُّد الجاحظ على حلقات التَّدريس المختلفة قد نجَّاه من عيب معاصريه ذوي الاختصاص الضَّيِّقِ. فهو بدرسه العلوم النقليَّة قد ارتفع فوق مستوى الكُتَّاب ذوي الثَّقافة الأجنبيَّة في أساسها القليلة النَّصيب من العربيَّة وغير الإسلاميَّة، ولذلك لم يكتف بالتردُّد على أوساطٍ معيَّنةٍ بغية التَّعمق في مادَّة اختارها بل لازمَ كلَّ المجامع، وحضر جميع الدُّروس، واشترك في مناقشات العلماء المسجديين، وأطال الوقوف في المربد ليستمع إلى كلام الأعراب، ونضيف إلى جانب هذا التكوين، الذي لم يعد لـه طابع مدرسي محدود، المحادثات التي جرت بينه وبين معاصريه وأساتذته في مختلف الموضوعات وكان من أفضل الكتاب في ذلك الوقت.**

**منهجه العلمي**

**انتـهج الجاحظُ في كتبه ورسـائله أسلوباً بحثيًا أقلُّ ما يقال فيه إنَّهُ منهجُ بحثٍ علميٍّ مضبوطٌ ودقيقٌ، يبدأ بالشَّك لِيُعْرَضَ على النَّقد، ويمرُّ بالاسـتقراء على طريق التَّعميم والشُّـمول بنـزوعٍ واقعيٍّ وعقلانيٍّ، وهو في تجربته وعيانه وسماعه ونقده وشكِّه وتعليله كان يطلع علينا في صورةِ العالم الذي يُعْمِلُ عقله في البحث عن الحقيقة، ولكنه مع ذلك، استطاع برهافة حسِّه أن يصبغ على بحثه صبغة أدبيَّةً جماليَّة تُضفي على المعارف العلميَّة رواءً من الحسن والظَّرافة، ومن أهم أركان منهجه:**

1. **الشك:**

**لم يكتف أبو عثمان بالشَّك أساساً من أسس منهجه في البحث العلميِّ بل عَرَضَ لِمَكانة الشَّك وأهمِّيَّته من النَّاحية النَّظريَّة في كثيرٍ من مواضع كتبه، ومن أهم ما قاله في ذلك: "واعرف مواضع الشَّك وحالاتها الموجبة لها لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة لـه، وتعلَّم الشَّك في المشكوك فيه تعلُّماً، فلو لم يكن في ذلك إلا تعرُّف التَّوقُّف ثُمَّ التَّثبُّت، لقد كان ذلك مما يُحتاج إليه. ثمَّ اعلم أنَّ الشَّكَّ في طبقاتٍ عند جميعهم، ولم يُجمعوا على أنَّ اليقين طبقات في القوَّة والضَّعف.**

**تتبيَّنُ لنا من ذلك مجموعةٌ من النِّقاط المهمَّة التي تفصح عن أصالة الجاحظ وتجلو ملمحاً من ملامح عبقريَّته، فهو لم يرد الشَّكَّ لمحض الشَّك، ولا يقبل أن يكون الشَّكُّ كيفما اتَّفق ولا في كلِّ أمرٍ على حدٍّ سواءٍ ولا بالطريقة ذاتها؛ إن الشَّك الجاحظيَّ، بهذا المعنى، لا يختلف عن الشَّك المنهجيِّ عند الإمام**[**الغزالي**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%A8%D9%88_%D8%AD%D8%A7%D9%85%D8%AF_%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%A8%D9%86_%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%BA%D8%B2%D8%A7%D9%84%D9%8A)**والفيلسوف الفرنسي**[**رينيه ديكارت**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B1%D9%8A%D9%86%D9%8A%D9%87_%D8%AF%D9%8A%D9%83%D8%A7%D8%B1%D8%AA)**René Descartes، فكلُّ منهم أراد الشَّكَّ طلباً للحقيقة؛ الحقيقة الجلية الواضحة، التي لا تقبل تفاوتاً في الدَّرجات.**

1. **النقد:**

**إنَّ تتبـُّعَ كتب الجاحظ ورسائله يكشفُ لنا عن عقليَّة نقديَّةٍ بارعةٍ؛ نقديَّةٍ بالمعنى الاصطلاحي المنهجي وبالمعنى الشَّائع للانتقاد، فنقده بالمعنى الشَّائع يتجلَّى أكثر ما يتجلَّى في تهكُّمه وتعليقاته السَّاخرة التي لم يسلم منها جانبٌ من جوانب المعرفة ولا مخطئٌ أمامه أو واصلٌ إليه خبره، ومن ذلك مثلاً تهكُّمه بالخليل بن أحمد الفراهيدي من خلال علم العروض الذي قال فيه: "العروض علمٌ مردود، ومذهبٌ مرفوض، وكلام مجهول، يستكدُّ العقول، بمستفعل ومفعول، من غير فائدة ولا محصول".**

**أما نقده المنهجيُّ فما أكثر ما تجلَّى في كتبه ورسائله في تعامله مع مختلف الموضوعات المعرفيَّة؛ العلميَّة والأدبيَّة، ومن ذلك نقده لعلماء عصره ومحدِّثيه ورواته وفقهائه والعلماء السَّابقين، والشَّواهد على ذلك جدِّ كثيرة، تجعلنا حقًا في حيرة أمام اختيار واحد منها.**

1. **التجريب والمعاينة:**

**إذا كان النَّقد هو الخطوة اللاحقة على الشَّكِّ فإنَّ المعاينة والتَّجريب هي الخطوةُ المقترنة بالنَّقد والمتلازمة معه، وخاصَّةً في مسائل العلم الطَّبيعي، والجاحظ لم ينس هذه الخطوة ولم يتناسها بل جعلها عماداً لازماً من أعمدة منهجه البحثي، وقد بدا ذلك في اتجاهين؛ أولهما قيامه هو ذاته بالمعاينة والتَّجريب، وثانيهما نقل تجارب أساتذته ومعاصريه.**

**وقـد أجرى الجاحظ كما أخبرنا تجارب ومعايناتٍ كثيرةً للتَّثبُّت من معلومةٍ وصلت إليه، أو لنفي خبرٍ تناهى إلى سمعه ولم يستسغه عقله، والأمثلة على ذلك جدُّ كثيرة نذكر منها تجربته في زراعة شجرة الآراك وقصَّته الطَّويلة معها للتَّأكُّد مما قيل عن تكاثر الذَّرِّ عليها ويصف لنا بُرنيَّةَ زجاجٍ وُضِع فيها عشرون فأراً مع عشرين عقرب، وما فعلته العقارب بالفئران، ولجأ أيضاً إلى تجريب بعض المواد الكيماويَّة في الحيوان ليعلم مبلغ تأثيرها فيها، وليتأكَّد مما قيل في ذلك ومما أورده من تجارب غيره تجربة أستاذه النَّظَّام عندما سقى الحيوانات خمراً ليعرف كيف يؤثِّر الخمر في الحيوان، ولم يكتف بنوعٍ واحدٍ بل جرَّب على عددٍ كبيرٍ من الحيوانات كالإبل والبقر والجواميس والخيل والظِّباء والكلاب والحيَّات وغيرها.**

**أما عن منهجه في معرفة الحلال والحرام فيقول : "إنما يعرف الحلال والحرام بالكتاب الناطق، وبالسنة المجمع عليها، والعقول الصحيحة، والمقاييس المعينة" رافضًا بذلك أن يكون اتفاق أهل المدينة على شيء دليلاً على حله أو حرمته؛ لأن عظم حق البلدة لا يحل شيئا ولا يحرمه، ولأن أهل المدينة لم يخرجوا من طباع الإنس إلى طبائع الملائكة "وليس كل ما يقولونه حقًا وصوابًا".**

**فقد كان الجاحظ لسان حال**[**المعتزلة**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B9%D8%AA%D8%B2%D9%84%D8%A9)**في زمانه، فرفع لواء العقل وجعله الحكم الأعلى في كل شيء، ورفض من أسماهم بالنقليين الذين يلغون عقولهم أمام ما ينقلونه ويحفظونه من نصوص القدماء، سواء من ينقلون علم أرسطو، أو بعض من ينقلون الحديث النبوي.**

**وفاته**

**يتحدّث كتّاب السير عن نهايته في عام**[**868م**](https://ar.wikipedia.org/wiki/868)**الموافق لسنة**[**255 هـ**](https://ar.wikipedia.org/wiki/255_%D9%87%D9%80)**وقد نيف على التسعين سنة. وله مقالة في أصول الدين وإليه تنسب الجاحظية. وقد هدّه شلل أقعده وشيخوخة صالحة، عندما كان جالسا في مكتبته يطالع بعض الكتب المحببة إليه، فوقع عليه صف من الكتب أردته ميتاً، لقد مات الجاحظ مدفونا بالكتب، مخلفاً وراءه كتباً ومقالات وأفكاراً ما زالت خالدةً حتى الآن.**

**مؤلفاته**

1. [**البيان والتبيين**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%8A%D8%A7%D9%86_%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A8%D9%8A%D9%8A%D9%86)**في أربعة أجزاء.**
2. [**كتاب الحيوان**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8_%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%8A%D9%88%D8%A7%D9%86)**في ثمانية أجزاء.**
3. [**البخلاء**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%AE%D9%84%D8%A7%D8%A1)**.**
4. [**المحاسن والأضداد**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AD%D8%A7%D8%B3%D9%86_%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B6%D8%AF%D8%A7%D8%AF)**.**
5. [**البرصان والعرجان**](https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B1%D8%B5%D8%A7%D9%86_%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%AC%D8%A7%D9%86&action=edit&redlink=1)**.**
6. [**التاج في أخلاق الملوك**](https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A7%D8%AC_%D9%81%D9%8A_%D8%A3%D8%AE%D9%84%D8%A7%D9%82_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%84%D9%88%D9%83&action=edit&redlink=1)**.**
7. [**الآمل والمأمول**](https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D8%A7%D9%84%D8%A2%D9%85%D9%84_%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A3%D9%85%D9%88%D9%84&action=edit&redlink=1)**.**
8. [**التبصرة في التجارة**](https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%A8%D8%B5%D8%B1%D8%A9_%D9%81%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AC%D8%A7%D8%B1%D8%A9&action=edit&redlink=1)**.**
9. **البغال.**
10. [**فضل السودان على البيضان**](https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D9%81%D8%B6%D9%84_%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%AF%D8%A7%D9%86_%D8%B9%D9%84%D9%89_%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%8A%D8%B6%D8%A7%D9%86&action=edit&redlink=1)**.**
11. [**كتاب خلق القرآن**](https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8_%D8%AE%D9%84%D9%82_%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86&action=edit&redlink=1)
12. [**كتاب أخلاق الشطار**](https://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8_%D8%A3%D8%AE%D9%84%D8%A7%D9%82_%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B7%D8%A7%D8%B1&action=edit&redlink=1)
13. **العديد من الرسائل التي حقق بعضا منها الدكتور**[**عبد السلام هارون**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D8%A8%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85_%D9%87%D8%A7%D8%B1%D9%88%D9%86)**وطبعت تحت عنوان (رسائل الجاحظ)**

**باب البلاغة من كتاب البيان والتبيين**

**حد البلاغة**

**الحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلّى الله على محمد خاصة، وعلى أنبيائه عامة.**

**خبرني أبو الزبير كاتب محمد بن حسان، وحدثني محمد بن أبان- ولا أدري كاتب من كان- قالا:**

**قيل للفارسي: ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل.**

**وقيل لليوناني: ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام، واختيار الكلام.**

**وقيل للرومي: ما البلاغة؟ قال: حسن الاقتضاب عند البداهة، والغزارة يوم الإطالة.**

**وقيل للهندي: ما البلاغة؟ قال: وضوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة.**

**وقال بعض أهل الهند: جماع البلاغة البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة.**

**ثم قال: ومن البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة، أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها، إذا كان الإفصاح أوعر طريقة، وربما كان الإضراب عنها صفحا أبلغ في الدرك، وأحق بالظفر.**

**قال: وقال مرة: جماع البلاغة التماس حسن الموقع، والمعرفة بساعات القول، وقلة الخرق بما التبس من المعاني أو غمض، وبما شرد عليك من اللفظ أو تعذر.**

**ثم قال: وزين ذلك كله، وبهاؤه وحلاوته وسناؤه، أن تكون الشمائل موزونة، والألفاظ معدلة، واللهجة نقية. فإن جامع ذلك السن والسمت والجمال وطول الصمت، فقد تم كل التمام، وكمل كل الكمال.**